2024 آيار | مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية | العدد 5
May. 2024 | Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences | No. 5
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

صورة الحرب في الرواية العراقية الحرب في حي الطرب لنجم والي مثالا

م .د . رياض حمزة عبّود
Riyadhhamza3@gmail.com
وزارة التربية – المديرية العامة لتربية القادسية

الملخص : يتناول البحث الحرب بوصفها ثيمة مركزية ارتكزت عليها رواية – الحرب في حي الطرب- للروائي العراقي نجم والي ، إذ تتناول الحرب العراقية الايرانية من خلال احداثها التي تبدأ بالموت وتنتهي به . فالبحث يتحرى تمثلات الحرب ليس في موضوع الحرب نفسها بل من خلال عناصر السرد المؤثرة في السرد وحركته وآثار الحرب التي تنسحب على الشخصيات ولغتها وتنعكس على فضاء الزمان والمكان ، فالرواية تحاول أن تشارك التاريخ الذي تصنعه الأسلحة كما يراها " نجم والي " فهي خيال يحول التاريخ الى قصص مروية . ففعل الحرب هو فعل ابادة للحيوات بكل تفاصيلها تبدا بالإنسان وتنسحب الى محيطه ونسله وقيمه. فالحرب لا تقف عند حدودها الزمانية بل تنغرس في وجدان الشعوب وتظل جراحها حية فهي ابادة حقيقية للقيم والافكار . فثمة خط فاصل من نار في تاريخ الشعوب هو ما قبل الحرب وما بعدها . والبحث يحاول اظهار ما عملت الرواية على كشفه وهو – القبح – الذي يتطور مع احداث الرواية ليصل الى الابادة وما تعكسه تلك الابادة على شخصيات الرواية وسلوكها لتقدم رؤية كاشفة لفعل الحرب وانعكاساته من خلال مواقفهم ولغتهم وسلوكهم ، ولتوصل رسالة من خلال الفن السردي لأثر الحروب الكارثي في الأفراد والمجتمعات على حد سواء .

الكلمات المفتاحية : الصورة ، الرواية العراقية ، حي الطرب لنجم والي

The image of war in the Iraqi novel The War in the Tarab Neighborhood by Najm Wali is an example

Lect, Dr. Riyad Hamza Abboud
Riyadhhamza3@gmail.com
Ministry of Education - General Directorate of Education in Al-Qadisiyah

Abstract: The research deals with war as a central theme upon which the novel - The War in the Tarab Neighborhood - by the Iraqi novelist Najm Wali was based, as it deals with the Iran-Iraq war through its events that begin and end with death. The research investigates the representations of war, not in the subject of the war itself, but through the elements of the narrative that influence the narrative and its movement, and the effects of the war that apply to the characters and their language and are reflected in the space of time and place. The novel tries to share the history created by weapons, as seen by “Najm Wali.” It is an imagination that turns history into Stories told. The act of war is an act of annihilation of lives in all their details, starting with the human being and extending to his surroundings, his lineage, and his values. War does not stop at its temporal borders, but rather is embedded in the conscience of peoples and its wounds remain alive, as it is a true annihilation of values and ideas. There is a dividing line of fire in the history of peoples, which is before and after the war. The research attempts to show what the novel worked to reveal, which is - the ugliness - that develops with the events of the novel to reach genocide and what that genocide reflects on the characters of the novel and their

behavior, to provide a revealing vision of the act of war and its repercussions through their attitudes, language, and behavior, and to deliver a message through narrative art about the catastrophic impact of wars on people. Individuals and communities alike.

Keywords: the image, the Iraqi novel, Hay al-Tarab by Najm Wali

المبحث الأول : الشخصيات:

تعدُ الشخصيات عنصرا رئيسا وفاعلا في عناصر البناء السردي ، ولذا فقد تباينت تفسيراتها عند الباحثين بحسب النظر اليها ، فمنهم من نظر اليها من ناحية السمات traits أو بوصفها نماذج types وبعضهم نظر اليها بوصفها مجموعة من العوامل Factor وغيرها من التقسيمات التي تهجس بأهميتها وتعدد مظاهرها وفاعليتها داخل البناء السردي ، ، لاسيما في الرواية الحداثوية التي لا تعنى كثيرا بتقسيمات أرسطو وتسلسل الفعل الدرامي في العقدة والحل ، فالشخصية من خلال خطابها الذي تنقله من خلال الحوار أو من خلال تحولها الى الذات الساردة متمثلة بالأخوات – الحفيدات ، هو صنع للحدث وتشكيل لعناصر الرواية كلها الزمانية والمكانية وغيرها.

وهي في أقرب تعريفاتها في "معجم مصطلحات نقد الرواية " ((كل مشارك في أحداث الحكاية سلباً أو ايجابا أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي الى الشخصيات بل يكون جزءا من الوصف))[1].

فالمشاركة تعني دفع الحدث وتشكله وصناعة عالم الرواية من خلال خطاب الشخصيات وحواراتها.

فخطاب الشخصيات داخل المتن الروائي هو كشف للمواقف ، وتفسير للجوانب الدينية والتاريخية والثقافية التي تتقاطع في الرواية وتتجاور، فيكون لخطاب الشخصيات فعل اتساقها وتفسيرها وتأويلها، فهو خطاب يستبطن الواقع ويعرضه من خلال الذات ؛ لينقل قلقها الوجودي وتطلعاتها وأوهامها واحباطاتها التي هي فعل مشترك يجسد واقعا بنصفه الظاهر والآخر المستبطن وبذلك ((تتشظى لحظات الثبات التي يظهر فيها الواقع الاجتماعي والسياسي بمظهر سكوني ليكتسب دينامية وتتشابك أوضاعه وتتنوع تجلياته))[2].لقد تمثلت شخصيات الرواية منعرجا رئيسا في تقديم صورة للموت وتبعاته في الرواية إذ هي تشكل رواية حرب تقدم الحرب بصورتها الواقعية وما تكتنزه من قبح من خلال الشخصيات الشاذة بأفعالها .

فالفن ليست عرضا تاريخيا والمبدع في السرد لا يعرض الحدث تاريخيا بل يسعى الى بث موقفه من مجريات الحدث التاريخي من خلال التلاعب به على نحو غير مباشر ، فسعت الرواية الى تمثل الحرب من خلال الشخصيات وصفاتها وأفعالها.

أولا : أنماط الشخصيات :

ثمة تقسيمات عديدة للشخصية الروائية كونها عنصرا من عناصر السرد والبناء الروائي، ومحركا للأحداث ، ومنطلقا للحياة داخل عالم الرواية الحكائي ، تتحدد بمدى اقترابها وبعدها أو تفاعلها مع الحدث الروائي وصنعه والتأثير فيه ، وهي على عمومها تنقسم على محورين أحدهما : يمثل الشخصية النامية أو الرئيسة والآخر للشخصية الثانوية .

فمدى ارتباط الشخصية الروائية بالحدث وفاعليتها فيه يقرر نمط الشخصية ودورها في المتن الروائي عموما ، فهي ترتبط بالدور الذي تؤديه وتقوم به في داخل نسيج النص الروائي والحكائي ، إذ ترتبط بالحدث ارتباطا محوريا . وإنَّ مدى هذا الارتباط بينهما يقرر سمة الشخصية ونمطها رئيسة كانت أو ثانوية .

أولا : الشخصية النامية : ثمة تقسيمات متعددة لأنماط الشخصية الروائية ومنها الشخصية النامية Dynamique أو المدورة ويقابلها الشخصية الثابتة أو المسطحة ، وهي تصف حركية الشخصيات في الرواية والأحداث فضلا عن دورها وأهميتها .

فضلا عن تسميات أخرى مثل : الأساسية والمحورية[3] ، والمركزية [4] ، وغيرها من التسميات التي تتجاور وتترادف في المفهوم والدلالة لتفضي الى مسمى النامية أو الرئيسة .

فالنامية تتسم بالديناميكية والحركية والتغيير من فصل لآخر ، وترتبط بالحدث على النحو التبدل والتغير في مواقفها وملامحها ، فلا تبقى على نمط واحد .
وتكون بمقربة من الحدث تؤثر به تارة وتتأثر به تارة أخرى ، وهي على النقيض من الشخصية المسطحة التي لا تملك الحركية والتغيير ولا تفصح عن كينونتها ومشاعرها ولا تؤثر في الحدث ، بل هي مكملة ومساعدة للشخصية النامية التي لا تقف عند حدود الأحداث فحسب بل تفصح عن عوالمها الداخلية من خلال المونولوج .
ولذا فالرواية لم تسعَ الى استعراض شخصية البطل بل جاءت الشخصيات الرئيسة أو النامية مترابطة مع الشخصيات الثانوية فيها تتكامل بعضها مع بعض لتشكل ملمح شخصية واحدة تتمثل الحرب وتداعياتها هي شخصية الضياع والخوف والشذوذ.
فالرواية قد وزعت فصولها على عنصري الشخصية والمكان ، والشخصيات التي ترد في الرواية وفصولها هي لجنود تتمثل حيواتهم فيها وتفصيلات علاقاتهم مع الآخرين لكنها تبقى حبيسة الحرب وآثارها التي تنعكس عليهم فتتسق مع الحرب وشذوذها وقبحها ولا منطقيتها .فأفعالها ليست مألوفة بل هي تتسم بالمفارقة وتثير الدهشة وتطرفها .
فشخصية " علي محمد " الجندي الخائف الذي يغادر حضن أمه وهو تخشى ذهابه للحرب وتنصحه باللجوء الى (الميمونة) هربا من مصير الموت على ولدها ، فيخبرها أنَّ الموت مصيره في الحرب أو الميمونة التي سيعدم فيها بعد امساكه من قبل الجهات الأمنية ، فيختار الموت في الجبهة .
((الحرب يايمة تعذب روحي ، كلما تذهب الى الجبهة أفكر هل أشوفك مرة ثانية ؟ وأفكر ماذا يفعل هناك ؟ هل هو عطشان ؟ جوعان؟ جريح يطلب المساعدة ؟ .. مرات أفز يايمة في وسط الليل وأصرخ مثل المجنونة علي لا تموت أوصيك يمة لاتموت))[5].
هذه الكلمات التي صاغتها لغة الأم بقيت تتردد في ذهن وشخصية علي محمد وتتحكم بنظرته للحرب وعلاقته مع الآخرين ، فهو شخصية مترددة تتسم بثقافتها وهدوئها لكنها شخصية ترفض الحرب وتحاول النأي عن املوت الذي هو مصير للحرب ، فكل الشخصيات ترى في الموت نهاية حتمية للحرب ولكنها مؤجلة .
للكنها تتلقى هذه النتيجة على نحو مغاير بحسب الشخصية وتكوينها ، فالخوف يبقى مسيطرا عليها لكن يتباين بين اظهاره وبين اخفائه .
فشخصية الجندي "سلام " تتلقى الحرب بعبثية فمع القصف يهرع الى قناني الخمر وتكون لغته شاذة وتتسم بوقاحتها ووصفها للأشياء والأشخاص بقبح وشتائم.
لا يتردد جلال من شتم الجميع ولا يتردد أن يعمل أي فعل شائن حتى مع القصف يفعل الفعل الشاذ مع الجندي " سلام " وكأنه في لغته وموقفه وشذوذه هو تقديم لشذوذ الحرب نفسها وقبحها ، فالقبح لايوسم بالحرب مباشرة بل من خلال الشخصيات وفعلها فالشخصية في الرواية متقلبة وغير مستقرة ، وهذا ما ذهب اليه تودروف بقوله بأنها : ((ذات طبيعة مطاطية تجعلها خاضعة للكثير من المقولات دون أن تستقر على واحدة منها))[6].
وهو ذاته مع شخصية " عدنان قاسم الذي تقدمه الرواية بفصل باسمه ، بوصفه شخصية مضطربة وشاذة يرفض الحرب والموت ويتمرد على الجميع بما فيهم أبيه " قاسم جبر " فيكرهه ويرى في انتحار شقيقه " نديم " مبررا لهذا الكره الشديد فيحب زوجة أبيه " سنية " ويمارس معها الفعل الشاذ انتقاما من أبيه الذي يتسم بالغلظة والقسوة على أولاده .
ولا يتردد عدنان من قتل الملازم ومن الهروب والسجن ، فهو شخصية متمردة وافعاله تنم على هذا الصوت الذي يمتزج بين التمرد والكراهية والانتقام.
((فلم تكن له أي علاقة حسنة مع أبيه فقد كانا في حرب دائمة ، وكان أوبه قاسيا بشكل غريب ، وكما يعتقد فإن أباه قد اكتشف لعبة الصعود الاجتماعي باكرا فقد دخل الى الحزب الحاكم مبكرا فتدرج في سلمه الوظيفي من كاتب بسيط في دائرة الطابو الى موظف متنفذ))[7].

فوصف ابيه يفتح المعنى عن شخصية أبيه الحزبية فالصراع لايمكن أن يكون شخصيا أو أسريا طبيعيا الا حين نقرأ الدائرة المغلقة لعائلة قاسم جبر ليكون الاب السلطة الظالمة وسنية هي العراق المغتصب والابن هو الشعب وطموحه الذي يبقى مرتهنا بهذه السلطة فلا مهرب الى الموت الذي تريده السلطة وتدفعها لها من خلال الحرب.

ثانيا: الشخصية المسطحة : الثانوية :

يأتي دورها تاليا للشخصيات الرئيسة والنامية ومتمما لها في سير الأحداث ، فالشخصية الثانوية ليست عبئا على النص الروائي بل هي شخصية مساندة تأتي لتعطي العمل الروائي حيويته ، وتدفع بفعل السرد نحو الأمام .

ولأنَّ الرواية ترتكز على التاريخ والاحداث الدموية التي شهدها العراق والدول المجاورة لمدة ثماني سنوات وشكلت ملامح العراق الجديد واسهمت تداعياتها في التغير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للبلد .، نجد الرواية تحيل الى شخصيات ثانوية كثيرة وحاضرة مرة بفعلها ومشاركتها صنع العالم الروائي للحكاية وأخرى بالاسم فقط .

هذه الشخصيات الكثيرة بدءاً من رفاق الحرب وانتهاء بحي الطرب " المكان الذي يهرب اليه الجنود اتقاءً للحرب واستسلاما للموت من جانبه السعيد في بيوت " الغجر " وما ترتبط به من غناء ورقص ونساء وحب كذلك تمثل دفعا لثيمة الرواية التي تدور حول الحرب وفعلها وقبحها .

فالحرب في الجبهة أو في أي مكان لا تفضي سوى للموت ولا تجر معها الا الضياع والخوف.

فشخصية نائب ضابط " حميد " بقسوتها وهشاشتها وتمسكها بالحرب وتوصيات القادة وكره الجنود هي شخصية انهزامية في داخلها وقاسية في خارجها تتصنع الحزم والشجاعة ولكنها هشة في داخلها تغطي ضعفها بالكراهية والانتقام.

((كزّ نائب ضابط حميد على أسنانه وكتم غضبه ومع نفسه كان يقول : سألقنكم درسا ما أن نصل ولكنه لم يشأ أن يستسلم بل كان مصرا في التأثير على علي ، مد يده ليقرصه من خده ، نزع بيريته ومسح عرقا تصبب على صلعته التي ظهرت الان كصحن مفلطح))[8].

فالشخصية الثانوية على الرغم من حزمها وقناعتها بضرورة الحرب والانتصار المنتظر وشعارات السلطة لكن الرواية تسخر منها من خلال الشخصيات الرئيسة وتدفع بهذه الشخصية الى نهاية ساخرة حين تستلم لضابط – طبيب – مجنون يقوم بعمل عملية جراحية لصلعته ويتعرض لمخاطر هلاكه .

فالشخصيات الثانوية تدور في المدار نفسه وهو أن الحرب هي سبيل الموت المجاني وضياع الأمل والحياة .

وحتى في نشوة " علي " مع " سليمة" في بيت اطلرب تبقى الحرب حاضرة " فينسى ملذاته لينقلها معه الى مخاوف الحرب والموت ((يحدثوننا عن الانتصارات ... حسنا ان جيشنا على مشارف المحمرة ولكن تعرفين كم كانت خسائرنا ؟ لقد اعلنوا صلاة الغائب .. ذلك يعني أنه كان من المستحيل احصاء القتلى .. يعني اكثر من 70% لماذا؟ من أجل المحمرة أو خورمشهر ولكني على ثقة أن الايرانيين سيستعيدون منا المدينة وسنعطي أيضا ضحايا اكثر من 70% لماذا لماذا ؟))[9].

فحوار علي مع سعدية ليس حوارا خاصا بل هو انتقال لهواجس الشخصيات وخساراتها مع هذه الحرب التي تنتهي بموتهم جميعا في بيت الطرب بوشاية من شخصية " المصري" الذي يعمل قرب هذا الحي الغجري ومع الأمن فتنتهي حياتهم مع حياة من في بيت الطرب بالموت حين تحاصرهم قوة من الحزب والأمن وتتم المواجهة .

المبحث الثاني : المكان

توطئة: يعدُّ المكان عنصراً مهما من عناصر البناء الفني للرواية ، وقد تحول في الرواية الحديثة من مجرد اطار تقع فيه الأحداث أو موقع لها الى عنصر رئيس فيها ، بل صار جوهريا ومحوريا في البناء السردي وفي تشكيل الخطاب الروائي ، فهو يمثل ((العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية بعضها البعض))10 ، وهو علاوة الى ذلك بات يمثل جانبا شعوريا يرتبط بالشخصية ويحددها فيتلاءم مع جانبها

السايكولوجي ويكون كاشفا لها بقدر تعلقها بالمكان ووصفه له ، فهو وان كان مصنوعا في الراوية ومتخيل بيد أنه يبقى أقرب العناصر للواقع ، فيشكل وجوده ضروريا في تلقي الرواية ويتمثل فيها كعنصر اقناع .

ولا يمكن النظر لعنصر المكان بمعزل عن بنية النص السردي وعناصره الفاعلة ، لاسيما الزمان والشخصيات ، بل يدخل في علاقات متعددة مع المكونات السردية الأخرى التي يرتكز عليها النص الحكائي ، فلا يمكن فصله عنها ، فليس من اليسير فهم دوره النصي داخل بنية السرد اذا ما تم فصله عن بقية العناصر البنائية للسرد ، فهو لا يعيش بمعزل عن بقية عناصر السرد ((وانما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث والرؤيات السردية ... ، وعدم النظر اليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد))[11]

فهو ذو علاقة وثيقة بعنصر الزمن ، وقد وصفه " روبرت همفري " بتوأم الزمن ، لأن الرواية رحلة في الزمان والمكان على حد سواء. فقد أطلق عليها "باختين " على هذه العلاقة تسميته (كرونوتوب) Chronotope لتمثل جدلية متداخلة من العلاقات الجوهرية المتبادلة بينهما .

فمقولة الرواية فن زماني لا يمكن قبولها مع بنية الرواية الحديثة ، بل أن هذه المقولة ((حين يصنف الأدب عموما بأنه فن زمني تمييزا له عن الرسم والنحت اللذين هما فنان مكانيان))[12].

فليس من المستغرب أن يدرسا على كونهما عنصرا واحدا في بعض الدراسات النقدية والتحليلية بوصفهما فضاءً وبنية واحدة وربط العلاقات البنيوية بوصفهما اطارا يتحتم عليه احتواء الشخصيات ودفع الحدث وتطوره ، فصار الفضاء مصطلحا أوسع من المكان بحدوده المكانية التي انتقل منها خطاب المكان ليكون ذو سمة دلالية وايحائية داخل النص الحكائي.

ولذا فالرواية الحديثة قد منحت المكان هذه القيمة وبَعُدت عن سمته الاستهلالية للحكاية أو الاطارية فقدمته على بوصفه فضاء مكانيا من خلال العلاقة القائمة بين المكان والعناصر السردية الأخرى في بنية النص السردي لتقدمه على اربعة أشكال:

- الفضاء الخارجي : وهو يقابل مفهوم المكان خارج السرد ، ويتم توليده عن طريق الحكي ، ولا يقصد به المكان الذي تخلقه الممارسة الكتابية أو أحرف الطباعة التي عن طريقها كتبت الرواية .
- الفضاء النصّي : ويمثل الحيّز الذي تشغله عملية الكتابة نفسها متمثلة بأحرف الطباعة وما يرتبط بهذه العملية من عنوان وغلاف ومقدمات .
- الفضاء الدلالي : ويتمثل بالصور الناتجة عن لغة الحكي وما يتولد من خلالها بعد ذلك من دلالات مجازية تقدمها اللغة .
- الفضاء كمنظور أو رؤية : ويتمثل في عملية السرد الروائي ووجهة النظر التي تحدث عنها " توماشفسكي " و " بويون" .

ولذا فرواية " الحرب في حي الطرب " تتشكل فعليا من الشخصيات للجنود وما يرتبط بهم من شخصيات ثانوية والمكان ، فجاءت الفصول موزعة على الشخصيات ومكان " حي الطرب " الذي تصفه الرواية بكونه مكانا عمدت السلطات العراقية في فترة الرخاء الاقتصادي في سبعينيات القرن الماضي الى تأسيسه بين الحدود العراقية الكويتية من البصرة ليكون مكانا لجذب الكويتيين وليكن ميامي البصرة لهم ولكنه مع الحرب صار مكانا مهجورا الا من الجنود والضباط .

لكنه على الرغم من هدوئه تصدح فيه كل ليلة الات الطرب والرقص والأصوات الغنائية الجميلة .

فوصولهم اليه لم يكن مكانا اختيارا بل جاء بالمصادفة وبقوا فيه هربا من الحرب والمعركة الطاحنة.

المبحث الأول: أنماط المكان:

تشكل أنماط المكان بعدا متخيلا ، لكون حدوده في بنية الرواية يبقى مصنوعا من خلال اللغة المكتوبة وفاعلية المخيلة ، فالمكان الروائي ((يبنى على أساس من التخيل المحض ، لكنه لا يكتسب ملامحه وأهميته وديمومته

إذا لم يتماثل بدرجة أو أخرى مع العالم الحقيقي خارج النص ؛ وذلك لاستحالة بناء الحدث والشخصية في مكان لا ملامح له))[13].

فهو ((مصاغ من ألفاظ لا من موجودات أو صور))[14] ، لكنه يرتبط بالواقع من خلال طرق تقديمه والاسترسال في وصفه وربطه بالواقعي لمنحه سمته وأبعاده.

فلا بدَّ من عملية تواشج بين النصّي والواقعي في تشكل المكان داخل الرواية ؛ لتحقق عنصر الاقناع الذي ينقل الرواية من حالتها النصية الطباعية الى حالة ممكنة التحقق وواقعية .

فالمكان بتشكله يسعى الى امداد الرواية بعنصر الاقناع للمتلقي ومن ثم تأثيرها فيه ، لتنتقل من حالته اللغوية والنصية المحضة الى مجال أرحب هو المجال الشعوري والذهني للشخصية .

لقد تباينت آراء النقاد والدراسين للمكان وتقسيماته بحسب موقعه في المتن الروائي وسلطته في السرد ، لاسيما وقد اتخذت موقعا بنائيا في الرواية الحديثة فلا غرو أن تتعدد أنماط وتتداخل ، وهي تقسيمات نظرية ترتبط بالرواية التي تمثلها الناقد أو بمجموعة الروايات ، مما خلق تفاوتا في التقسيمات مرة وتقاربا مرة أخرى .

فقد عني النقاد بالمكان بوصفه عنصرا رئيسا في بنية السرد ، ولم يتجاهلوه في بنية الحكاية إن كانت واقعية أو خرافية ،" ففلاديمير بروب " حين درس مورفولوجية الحكاية الشعبية الخرافية قسمه الى ثلاثة أنماط : المكان الأصل الذي يمثل بداية النشأة ومحل العائلة ، والمكان الوقتي أو العرضي الذي يجاوز المكان الأصل ، والمكان الرئيس أو الانجاز الذي يكون اطارا للانجاز في الحكاية ، وعلى الرغم من ارتباط هذا التقسيم بالجانب الوظيفي للمكان ، مما دعا غيره الى التعمق اكثر بتقسيمات المكان ، وفي مقدمتهم " غريماس " حين نظر للمكان وجعل تقسيماته أكثر ((عمقا وأبعد دلالة ، فكانت الأماكن عنده : مكان الأنس الحاف ، والمكان المجاور ، واللامكان))[15].

وامتدت التقسيمات للمكان بالنظر لفاعليته ودلالته داخل البناء السردي بعد ان كان ينظر اليه من وجهة نظر ايدلوجية ، أو المكانية المحضة بوصفه اطارا فحسب الى الانتقال الى سبر أغوار الجانب الذهني للأشخاص لاسيما في روايات تيار الوعي ليتقدم بعد ذلك بوصفه معطى ثقافي لاسيما عند " جوليا كرستيفا" حين ارتبط المكان عندها بحضارة العصر واسمته بـ ((ايديولوجيم العصر ...، وهو الطابع الثقافي العام الغالب في عصر من العصور ، ولذلك ينبغي للفضاء الروائي أن يدرس في تناصيته ، أي في علاقته مع النصوص المتعددة لعصر ما أو حقبة تاريخية محددة))[16] .

فأكسبته تلك التقسيمات بعدا آخر يجعل منه فاعلا في بناء الرواية الحديثة ، فصارت انماطه تتسق مع أهميته ، وتنحو نحو نظرة جمالية للمكان تمثلت في طروحات " جاستون بلاشر " وعنايته بجماليات المكان حين جعله ((جوهر العمل الفني ، فهو الصورة الفنية نفسها التي يتفاعل معها المتلقي وتحفزه على استحضار الصورة المتخيلة لذكريات مكانه الأليف))[17] .

ولذا فقد افاد غالب هلسا من ترجمته لكتاب " بلاشير ، وانطلق في تقسيم المكان على أساس دلالي مجازي الى : المكان المجازي : إذ يقوم على الافتراض والتخيل المحض ، فهو مجازي لكونه غير مؤكد الوجود .

والمكان الهندسي : ويتمثل في الابعاد الخارجية وعرضها بدقة وحياد . ومن ثم الى : المكان كتجربة معاشة الذي يرتبط بالمؤلف وتشكله في خياله مع ما كان قد عاشه في الواقع من أمكنة انعكست في ذاكرته .

وثمة تقسيمات تتجاور أو تفترق في تقسيماتها لا يسع المقام لعرضها وهي تندرج ضمن الجانب الوظيفي الذي يعرضه المكان للرواية وعناصرها ، فضلا عن استفادته من مظاهر وملامح المكان الحقيقي ، فلكل رواية مكانها الخاص الذي يكشف براعة الروائي وثقافته وتوجهه الفكري ، لاسيما في ايراد جزئياته ، ولأنه يرتبط بالواقع فلابد للروائي من الاجتهاد والاطلاع ومن ثم عرض المكان الذي يبقى في منطقة وسطى بين المخيلة والواقع .

ونلحظ أن المكان في رواية " الحرب في حي الطرب " يمثل عنصار فاعلا تجسدت من خلال رؤى السادر ، فالمكان يرتبط بالموت ويمثل جوا من الاختناق حين ترى في الدخان والظلام والجثث التي تطفو في النهر ، وحين يصف المكان بجماله وخضرته يقول أن لونه كان " كاكي " انسجاما مع لون بدلة الجنود .

فالمكان ينسحب حتى في تجلياته الجمالية مع الحرب وفعلها القبيح .

أولاً : المكان المعادي :

يرتبط المكان المعادي بشعور الشخصية اتجاهه ، وهو في العموم يمثل فقدان الراحة والاطمئنان والشعور بالأمان اتجاه من قبل الانسان ، لكنه مجبر على العيش فيه كالسجون والمنافي ، ويمثل النقيض من المكان الأليف ، ويتم الكشف عن عدائية المكان تبعا لشعور الشخصية وكرهها له ، وهو مرتبط على نحو ما بتجليات الشخصية وتطورها ، فقد يكون المكان محايدا بيد أن انعكاسات الشخصية عليه هي من توسمه بالمعادي أو الأليف ، فالمكان قد يكون انعكاسا للخوف ، كالخوف من الموت أو التيه في عالم متخيل مصنوع بلا علامات ، فيتحول المكان ايحائيا لعكس هذه السمات الشخصية وموقفها منه ليتلبور من خلال هذا العلاقة الضدية أو علاقة الـ (مع) جانب دلالي تنسج الرواية على وفقه بنائها ومضمونها.

((فالخوف من الأماكن الضيقة – كما يقول بلاشير – ليس مرتبطا فقط بضيق المكان ، فأحيانا تختبر الانسان بنفسه احساسه بأنه محبوس في الخارج))[18]. فلا بد للمكان أن يثير مشاعر الانسان اتجاهه تعاطفا او تنافرا ، ((واضفاء البعد النفسي أو الشعوري على المكان يبدأ من لحظة اختياره لاستخدامه في العمل الفني الروائي))[19]، فهذا البعد النفسي يعد أكثر انماط المكان وضوحا في البناء الروائي للمكان .

فتشكيل المكان ((لايظهر الا من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه ، وليس لديه استقلال ازاء الشخص الذي يندرج فيه))[20] ، فيصب عليه سماته إن كان مكانا للاقامة الاختيارية كالبيوت أو الاقامة الجبرية كالسجن ، أو أماكن للانتقال العامة كالشوارع والحارات ، أو الخاصة كالمقاهي ، فالمحددات للمكان لا ترتبط بكونه معاد أو أليف بقدر ماتكشف عنه الشخصية من موقفها الذاتي والنفسي ازاءه تبعا لسماتها وكوامنها وخبراتها.

فالحرب على سعتها تصطبغ المكان بلونها ، ولذا فكل مكان هو معاد وغير اليف لأن الموت يرتبط به ، فالنهر على هدوئه يتحول الى مكان معادٍ ((فقبل أن تميز عيناه الكتل التي لم يشك انها جثث حملها جاري النهر وفاضت برائحة عفنة ...فظلت قدماه تضربان الماء بوهن وحذر ، وكشخص مسرع يلقي عليه التحية مرت ثلاث جثث لم يتبين ملامحها جيدا ذلك لأنه لم يتعمد فحصها... انها مجرد كتل عائمة احاطت به بادئ الامر ثم دارت دورة سريعة لايعرف مغزاها وتحركت مبتعدة ساحبة معها رائحتها التي اخذت تتلاشى تدريجيا .جثث لثلاث بشر هل تحجر قلبه الى تلك الدرجة بحيث منظر الجثث لم يعد يثيره))[21].

فالنهر يتحول الى مكان عدو وقبيح بفعل الحرب وماترميه من جثث تسبح مع التيار الجاري لتحيطه وتحاصره .

وكذا الأمر مع الاشجار والسماء وغيرها التي يصفها الروائي بخلوها مع الطيور وانسحاب الظلام بفعل الدخان الكثيف للقصف ورائحة البارد التي هي رائحة للموت.

ثانيا : المكان الأليف : هو النقيض للمكان المعادي في الرواية ، الذي ينسجم مع الشخصية وحالتها الشعورية والنفسية التي يكشفها الراوي من خلال اتصالها بالحدث وحواراتها الداخلية والخارجية . فالمكان هو المحور الأساس الذي تقوم عليه الرواية برمتها ، ومن خلال يتم تحديد الشخصية وطباعها ، والاحداث ومساراتها ، لذا فقد عني النقاد والدارسون بتفصيلات المكان ودلالاته ، فعن طريق ((تحليل دلالات الأمكنة في السرد الروائي نتعرف على ما يريد الراوي ايصاله الى المتلقي))[22].

فهو العنصر الأول الذي تتطلبه الأحداث حتى تتحقق مصداقيته ، ولا يمكن بأي شكل الاستدلال عليه دونما تحديده كونه يوجه السرد ، فالمكان ((هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي وتنهض به في كل عمل تخييلي ، فهو عنصر جمالي وعنصر تشكيل تعين على تكوين الهوية الجماعية))[23] ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال وسم مكان بعينه بالألفة أو المعاداة ، بل تتحدد دلالته من خلال اسقاطات الشخصية عليه وتجلية سماتها من خلاله من خلال ارتداد مواقفها ومشاعرها عليها رفضا أو قبولا ، خوفا او طمأنينة .

فلا يمكن اعمام مكان محدد في كل موقف أو رواية ، بلهو مرتبط بالشخصية وتحولاتها ومواقفها ، فقد يتحول المكان المفتوح الى مكان معادٍ والمغلق الى أليف ومحبب بحسب شعور الشخصية واندماجها معه.

فما يثيره المكان من مشاعر الطمأنينة والأمن وما يستدعيه من ذكريات يجعله مكانا محببا وأليفا ، ولا يعني هذا اللجوء الى التحديد المطلق ، فمكان المعيشة قد ينقلب الى معاد وهكذا دواليك مع سائر الأمكنة .

- فالمكان في أصله أطار هندسي وهو مكوّن حكائي يمثل الجانب المادي والحسي في الرواية ولابد ان يكون ثريا في دلالاته وسماته حتى يكون له دلالته الخاصة وموقفه في تسيير الأحداث .

فهو العنصر الأول الذي يتطلبه الحدث الروائي حتى يقترب من المصداقية ويتحقق به الاقناع ، ولذا فقد جاء المكان في رواية " السيد أصغر أكبر " مكتنزا ومغايرا .

ومنجد ان الرواية تصنع مفارقة في المكان حين يتحول المكان الأليف في طبيعته كالأشجار والانهار والسماء الى مكان عدو وينتقل المكان مغايرا طبيعته فيصير مكان " الطرب " مكانا أليفا بدلا عنه

فالهروب من المعركة والحرب والالتجاء لحي الطرب " الكاولية " يصير فسحة حياة ينسى معها الجنود نفسهم ليبقوا بين النساء وحفلات الغناء حتى تترصدهم اجهزة السلطة وتفتك بهم .فهم قد تيقنوا من مصير الموت الحتمي ولكنهم وجدوا في اختيار المكان وألفته نهاية سعيدة لهم ما دام الموت الذي افرزته الحرب هو نهاية لا فرار منها.((أكره أنني تعرفت على هذا المكان صحيح أنه ملجأي لكنه عذابي أيضا فأنا كمن يغادر السجن ويدخل الى قفص جدرانه من ذهب ، وقد فكرت أكثر من مرة بمغادرة الحي ولكن الى أين أين))[24]فحي الطرب يمثل مكانا أليفا في الرواية ومكانا اختيارا للموت .

الخاتمة :

تمثل الرواية عالم من ورق غايته جمالية معرفية يبث بها السادر فكره وموقفه من الحياة ، وقد مثلت رواية " الحرب في حي الطرب " اجادة في هذا الفن وحصدت الرواية ومؤلفها الروائي العراقي نجم والي الجوائز والاهتمام بوصفها رواية رائدة في تناول ثيمة الحرب لاسيما في حرب الخليج الأولى في ثمانينات القرن المنصرم ، فجاءت لتبث ثيمة القبح والموت الذي تخلفه الحرب / فهي صرخة غضب ورفض للحرب .

فجاءت الرواية متمثلة لتلك الثيمة من خلال عنصري الشخصيات والمكان ولتنقل من خلالهما الطاقات الشعورية والفكرية في تمثلات الحرب وصورتها التي جاءت على نحو قاتم ومزرٍ ورافض لها .

الهوامش

[1]) زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية :113-114.

[2]) محمد عز الدين التازي ، الخطاب الروائي العربي الجديد :10 .

[3]) عبد الملك مرتاض ، عالم الرواية: 12

[4]) الرواية الحديثة الانجليزية والفرنسية ، ترجمة عبد الواحد محمد : 312.

[5]) نجم والي ، الحرب في حي الطرب : 18-19.

[6]) كريمة بلخامسة ، تحليل الخطاب الروائي في رواية نجمة لكاتب ياسين : 169.

[7]) نجم والي :82 .

[8]) نجم والي : 38.

[9]) م ن : 225.

[10][10]) غالب هلسا ، المكان في الرواية العربية : 9.

[11])حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي : 26.

[12]) رينيه ويلك ، أوستن وارين ، نظرية الأدب :224.

[13]) عبد الله ابراهيم ، البناء الفني في رواية الحرب العربية في العراق :135.

[14]) صبري حافظ ، الخصائص البنائية للأقصوصة ، مجلة فصول ، مج 2 ، ع2 ، 1982 : 29.

[15]) لواء نقي العيساوي ، المكان في الدراسات السردية العراقية الحديثة نشأتها واتجاهاتها ، اطروحة دكتورة غير مطبوعة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة كربلاء ، 2018 : 27.

[16])حميد لحمداني ، بنية النص السردي :54.

[17]) جاستون بلاشر ، جماليات المكان : 7.

[18]) بطرس حلاق واخرون ، شعرية المكان في الأدب العربي الحديث :18.

[19])صلاح صالح ، قضايا المكان الروائي :96.

[20]) حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي : 33.

[21]) نجم والي : 38-40.

[22]) محمود ناصر نجم ، دلالات المكان في روايات هيثم بهنام بردى :105.

[23]) نبيل سليمان ، فتنة السرد والنقد : 287.

[24]) نجم والي :247.

المصادر والمراجع

- أركان القصة : أ.م. فورستر ، ترجمة : كمال عياد جاد ، دار الكرنك للنشر والتوزيع - القاهرة ،1960 .
- أساليب السرد في الرواية العربية : صلاح فضل ، دار المدى للثقافة والنشر – بيروت ، ط1 ، 2003.
- الحرب في حي الطرب ، نجم والي ،د. ط، دار الرافدين ، بيروت 2018 .
- انماط الرواية العربية الجديدة : شكري عزيز الماضي ، سلسلة عالم المعرفة (355) ، سبتمبر – الكويت، 2008.
- بحوث في الرواية الجديدة : ميشيل بوتور ، ترجمة ابراهيم فريد انطونيوس، منشورات عويدات ، 1986.
- بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت آب 1992 : 302-303 .
- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة- المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب،الكويت ،1992.
- بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ) ، سيزا أحمد قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، د. ط ، 1984.
- البناء الفني في الرواية العربية في العراق- بناء السرد، د.شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، 1994.
- بنية الشكل الروائي (الفضاء , الزمن , الشخصية) ، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي- بيروت،ط1، 1990.

- بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) ، د. حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1991 .
- البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله ، د. مرشد أحمد ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، الأردن، ط1 ، 2005.
- تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية (دراسة في نقد النقد) ، محمد عزام ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، د. ط ، 2003 .
- تحليل الخطاب الروائي (الزمن –السرد- التبئير) : سعيد يقطين ، الدار البيضاء - المغرب، ط4، 2005.
- تحليل الخطاب الروائي في رواية نجمة لكاتب ياسين ، كريمة بلخامسة ، دار الامل للطباعة، د.ط ، الجزائر 2016.
- تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، يمنى العيد ، دار الفارابي ، بيروت ط3، لبنان ، 2010.
- تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية ، أثير عادل شواي ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 2006.
- الخطاب الروائي : ميخائيل باختين ، ترجمة محمد برادة ، دار الفكر للدراسات والنشر – القاهرة ، 1987.
- دلالات المكان في روايات هيثم بهنام بردى ، محمود ناصرنجم ، مطبعة الدباغ ، ط1 ، بغداد ،د .ت.
- الخطاب الروائي العربي الجديد ، د.محمد عز الدين التازي ، وكالة الصحافة العربية ناشرون ، الجيزة / د. ت.
- قضايا المكان الروائي ، صلاح صالح ، ط1 ، فواصل للنشر والتوزيع ، اللاذقية –سوريا ، 2019 .
- معجم مصطلحات نقد الرواية ، د لطيف زيتوني ، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1 ، بيروت 2002 .
- المكان في الدراسات السردية العراقية الحديثة نشأتها واتجاهاتها ، لواء نقي العيساوي ، اطروحة دكتورة غير مطبوعة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة كربلاء ،